مؤسسات التنشئة الاجتماعية والممارسة اللغوية

أ. بوهناف عبد الكريم

جامعة الجزائر -2-

تعتبر اللغة من الوسائل الأساسية والمهمة في نقل التراث والثقافة والحضارة للأفراد، ومعبر عنها ، وذلك عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية المتنوعة (الأسرة ، الشارع ، المدرسة ، جماعة الرفاق ، وسائل الإعلام والاتصال.....) ، والتي تلعب دورا بارزا في تجسيد وبلورة معالم الهوية للأفراد والمجتمعات .

ونظرا لهذه العلاقة الارتباطية بين اللغة من جهة ، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة من جهة أخرى، فإننا سنحاول في هذا العرض التطرق إلى تأثيرات هذه المؤسسات على طبيعة اللغة الممارسة لدى الأفراد في حياتهم ومواقفهم ، وذلك من خلال التطرق إلى العناصر :

التنشئة الاجتماعية،مؤسسات التنشئة الاجتماعية واللغة،الأسرة،المدرسة،جماعة الرفاق،وسائل الإعلام والاتصال.

Abstract :

Language is considered as an essential and important tool in transferring the culture and civilization toe through generations. The transfer is carried ant through the different upbringing factors (family, street, school, Media …..),that play an important role in shaping the Identity for individuals and Societies.

This Inter relationship between language and the Upbringing ewiroument is being discussed through the influence of social upbringing on the nature of language used by people in their daily life.

According the following element;

Socialization, Upbringing institutions of social and language, family, school , Media and communication .

مقدمة:

إن الطفل في مراحل نموّه المختلفة، لا يمكن أن ينحصر تواجده في الأسرة فقط، بل يتعدى ذلك إلى المحيط الخارجي الذي يعتبر هو الآخر حاضن له، وهو ذلك المجتمع الكبير الذي تعتبر الأسرة جزء منها، إذا فهذا المجتمع بدءًا من الأسرة والمحيط الخاص الذي يحتضن الفرد منذ بداية نشوئه، ويكبر معه كلّما تقدّم في العُمر، ثم المجتمع الكبير بكل قطاعاته وطبقاته، وأشكاله ووسائل الاتصال فيه، هذا كلّه يُعتبر المورد الأول لمفردات اللغة وصيَغها وتراكيبها وأساليبها، فهذه المؤسسات المتواجدة في المجتمع (الأسرة، المدرسة، الشارع، المسجد، جماعة الرفاق،... الخ)، هي التي تعمل على تزويد الفرد بالألفاظ والكلمات والتي ستكون مستعملة من قبله، وعلى لسانه خلال مواقفه اللغوية المختلفة، ولا شك أن هذه اللغة التي يكتسبها وينشأ عليها بطبيعتها ونوع تراكيبها ودلالاتها تعكس الفرد الذي يستعملها وثقافته.

واكتساب هذه اللغة وممارستها في المجتمع، يكون عبر قنوات عديدة موجودة في هذا المجتمع، حتى وإن اختلفت تأثيراتها من مؤسسة لأخرى، وهي التي تُعرفُ بمؤسسات التنشئة الاجتماعية، والتي تعتبر اللغة كجزء يكتسب من خلال هذه المؤسسات، لذلك فإننا سنتطرق أولا إلى معنى التنشئة الاجتماعية ، وبعدها نحاول التعرض لاكتساب ونمو اللغة وممارستها لدى الأفراد، ودور كل مؤسسة في هذه العملية، والتي لا يمكن للإنسان أن يخرج عنها.

1. التنشئة الاجتماعية:

لقد أعطيت لها تعاريف متعددة ولكنها متقاربة ومشتركة في هدفها، وسنحاول إعطاء بعض التعاريف، فهناك من يعتبر بأن عملية التنشئة الاجتماعية، وهو«هنري برايت فيرتشلد» بأنها «عملية نفسية اجتماعية تخلق فيها الشخصية تحت تأثير المنظمات التربوية، فهي عملية تقترن أولاً بالنظام الذي ترتبط فيه عملية التشريط العامة بفاعلية المدرسة والأسرة وجماعة اللعب، والجماعات العنصرية ودور العبادة،...،

وثانياً تقترن ببعض مشكلات سوسيولوجية الجماعات التي تنتظمها العملية التربوية والجماعات المشتغلة بالتربية (معلمين، آباء،...)».[1]

ويتضح لنا من هذا التعريف، أن المنظمات التربوية المختلفة المتواجدة في المجتمع والتي تقوم بأدوار مختلفة هي التي تؤثر على شخصية الإنسان في جوانبها النفسية والاجتماعية خاصةً، كما أنها ترتبط بالأفراد القائمين على هذه التربية كُلّ حسب موقعه ومكان عمله، وهو ما يعني أنهم المسئولون الأساسيون في عملية تنشئة الأفراد، ولكن لا يخرج عن إطار النظام الذي تخضع له هذه المؤسسات.

ويعرف «برنشتاين» التنشئة بأنها تلك السيرورة التي يتمكن فيها الطفل من اكتساب شخصيّته الثقافية وذلك بالاستجابة لها، أي أنها تلك السيرورة التي يتحول من خلالها الإنسان من كائن بيولوجي إلى شخص يمتلك ثقافته الخاصة.[2]

أي الإنسان من خلال عملية التنشئة الاجتماعية يتمكن من اكتساب مجموعة القيم والعادات والتقاليد، وكل ما يتعلق بسلوكاته وتصرفاته، وهذا الاكتساب يحوّله من كائن بيولوجي إلى شخص ذو ثقافة خاصة، وهذه الثقافة هي جزء من الثقافة السائدة في مجتمعه، أو في المحيط الذي ترعرع فيه.

وتعتبر أيضاً التنشئة الاجتماعية بأنها تلك العملية التي يتمّ من خلالها وبواسطتها تعليم الطفل «الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج في ثقافته، والخضوع لالتزاماته ومُجاراة الآخرين بوجهٍ عام».[3]

---

[1]- دسوقي (كمال): النمو التربوي للطفل والمراهق، دروس في علم النفس الارتقائي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص269.

[2] -Basil Berstein : Langage et classes social, codes sociolinguistiques et contrôle sociel, éd.Minuit, Paris 1980. P 229.

[3]- دياب(فوزية): نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط3، السنة غير مذكورة، ص114.

وبصورة عامة، ومن خلال هذه التعاريف يمكن القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية، هي العملية التعلمية التي يكتسب من خلالها الفرد المعايير والقيم والاتجاهات والمهارات المختلفة، وكذا الأدوار التي يقوم بها، وهذا لإدماج الطفل في الإطار الثقافي العام للمجتمع، بإدخال هذا التراث الثقافي في تكوينه وتوريثه إيّاه، وذلك بتعليمه النماذج المختلفة الموجودة في المجتمع، كما أنها تكيّف الفرد وتهيئه ليكون من العوامل التي تساهم في تقدم المجتمع وتطوره، وبهذه التنشئة يكتسب الفرد حضارة جماعته وثقافته.

وتلعب عملية التنشئة الاجتماعية دوراً هاماً في «تحديد معالم الهوية الاجتماعية والدينية...»[1] للأفراد والمجتمعات، وبما أن اللغة تعتبر من الوسائل الأساسية والمهمة التي يتم بواسطتها نقل التراث والثقافة والحضارة إلى الأفراد، كما أنها مُعبر عنها، وذلك عبر هذه المؤسسات الاجتماعية المختلفة.

إذاً فهناك علاقة بين اللغة والمؤسسات الاجتماعية المختلفة (الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق، وسائل الإعلام المختلفة، الشارع،...)، لذلك سنحاول التطرّق إلى هذه العلاقة، وإلى تأثيرات هذه المؤسسات المختلفة على طبيعة اللغة التي يتعلمها الأفراد لتصبح ممارسة في حياتهم.

2. مؤسسات التنشئة الاجتماعية و الممارسة اللغوية:

2. 1 الأسرة:

تعتبر الأسرة من المؤسسات الأولى التي تعمل على تلقين وتعليم الأطفال اللغة التي يمارسونها، وهذا من خلال ما يتلفظونه من كلمات وألفاظ يسمعها الأبناء، وهي من المنظمات الاجتماعية الأكثر تأثيراً وأبقاها أثرا في نمو الطفل اللغوي فهي التي

[1]- خشى(عبد الباري عصر): تشويه العقل العربي وهموم التربية اللغوية، الإسكندرية، مصر، 1999، ص174.

«تهيء الجو أو البيئة الاجتماعية التي يشرب الطفل معاييرها ومُثُلها، وواقعها في تفكيره وسلوكه».[1]

إلا أن اللغة التي يكتسبها الطفل في الأسرة والتي يتكلم بها طيلة حياته، وتمكنه من التواصل بالآخرين ويعبّر بها عن حاجاته وأفكاره وعواطفه وبها يتفاهم، إنما تتوقف وتتنوع بالثقافة واللغة التي تمارسها أسرتُه، وكذا تتوقف على الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وعلى الجو الأسري. وكذا إلى عوامل بيئية(تواجد الأسرة) وغيرها من العوامل الأخرى.

وبما أن الأسرة هي المؤسسة التربوية الأساسية في المجتمع، والتي تحتضن الطفل في بدايته، فهي التي تعمل على تزويده باللغة التي ستكون مرافقة له في حياته، حيث تقوم على تشكيل نُظم الأطفال تِبعا(وفقًا) للثقافة السائدة في المجتمع، ومن بينها «نظام اللغة والذي يتمثل فيما تتخذه البيئة الاجتماعية من وسائل للتخاطب والتفاهم والاحترام، واكتساب الطفل لهذه الأمور ما هو إلا جزء من الاندماج الحقيقي في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها».[2]

فالوالدين يلعبان دوراً هامًّا في تنشئة الطفل، وفي بناء شخصيته، بما فيها التنشئة اللغوية التي يتعرض لها الطفل داخل هذه الأسرة، وهذا من خلال الاتصال الكلامي الحادث بين الوالدين والطفل وبدرجة كبيرة الأم والطفل، والذي يعتبر(الاتصال) واضع اللبنات الأولى للألفاظ والكلمات التي ترنُّ على مسامع الأطفال، خاصةً إذا تمت رعاية الأطفال بعناية حيث يتمتع الطفل بـ«أفضل ظروف للنمو واكتساب اللغة».[3]

[1]- دسوقي(كمال): مرجع سبق ذكره، ص 267.

[2]- الشربيني (زكرياء)، يُسرية(صادق): تنشئة الطفل وسبُل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دار الفكر العربي، القاهرة(مصر)، 1996، ص84.

[3]- عبد الفتاح(كاميليا): التربية اللغوية للطفل، دار الفكر العربي، مصر، 1991، ص52.

ويكون ذلك عندما يتم رعايتهم بدأبٍ وتفانٍ وبهدوء، حيث يكون الجو الأسري ملائم لذلك.

والفرد في معاملاته المختلفة في شتى المجالات، فإنه يمكن أن يكون مستخدماً للغة ما (أحادي اللغة)، أو للغتين(مزدوج) ، أو متعدد اللغات، وهذا من خلال المواقف المختلفة، فهو بذلك يمكن أن يكون من إنتاج وسط أسري أحادي اللغة (يستعمل أثناء معاملاته لغة واحدة، كالعربية أو الامازيغية)، أو من إنتاج وسط أسري مزدوج اللغة(يستعمل أثناء معاملته اللغتين– عربية و امازيغية مثلا)، أو من إنتاج وسط أسري متعدد اللغة (معرفة واستعمال أكثر من لغتين– عربية وامازيغية وانجليزية مثلا)، وقد أشار «برنشياين»[1]، إلى أن اللغة المتواجدة لدى أفراد المجتمع، هي انعكاس للغة المتواجدة والممارسة في الأُسر، حيث يرى أن هناك وسط أسري لغته هي لغة المجتمع، ووسط أسري لغته ليست لغة المجتمع، وهو ما يعكس في الحالتين معاً أحادية اللغة في الأسرة، ويكون الوسط الأسري مزدوج اللغة إذا كانت لغة الوالدين هي لغتين مختلفتين وهو ما يؤدي إلى إزدواج لغوي، وبالتالي تتضح العلاقة بين لغة الأسرة ولغة المجتمع.

إلا أن هذا الازدواج اللغوي الذي ربطه "برنشتاين " بأنه يكون في حالة اختلاف لغة الوالدين (اختلاف لغة الأم عن لغة الأب) ، لا يمكن أن يرتبط فقط بهذا الاختلاف ، فقد يكون الازدواج اللغوي داخل الأسرة ناتج عن لغة المحيط الخارجي للأسرة ، أو تحت تأثير وسائل الاتصال ، أو جماعة الأقران أو المدرسة ...الخ ، وهذا ما يجسد حالات الازدواجية داخل الأسرة بصفة عامة ، لان ممارسة هذه الازدواجية اللغوية لا يتصل فقط بحديث ولغة الوالدين ، بل يتعدي إلى الأبناء فيما بينهم ، وبين الأبناء والآباء ، كحديث الأبناء فيما بينهم داخل أسرتهم بالعربية ، وحديثهم مع الأب أو الأم بالامازيغية، وهو أمر ملاحظ وممارس في العديد من الأسر الجزائرية.

[1] - Bernstein(Basil) : op.cit, p 229.

وخلاصةً يمكن القول أن للأسرة الدور الفاعل والحاسم في تعليم واكتساب الطفل طبيعة ونوعية اللغة التي يرادان لها من خلالها أن تكون وسيلة للاتصال والتواصل بينه وبين أفراد مجتمعه، وتعلّم اللغة يتوقف على الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية(موطن إقامتهم) لتلك الأسر وتنشئتهم عليها، وهو ما يؤثر على لغة أبناءهم، خاصة وأن اللغة تستعمل كرمز للانتماء إلى جماعة بعينها، أي أن الناس يستخدمون ويستعملون الكلام لتحديد الجماعة الاجتماعية التي ينتمون إليها أو التي يرغبون في الانتماء إليها، [1] وبالتالي فموقف الأسرة (الوالدين خصوصاً) من لغة تعليم الطفل هو أساس لعملية تنشئته لغوياً.

وتعتبر هذه الممارسة اللغوية التي يكتسبها الأطفال في محيطهم وبخاصةً الأسرة، الأداة الأساسية والمهمة في تهيئتهم لاكتساب السلوك الاجتماعي، والتي بواسطتها يتحول الأطفال إلى أعضاء كاملين ومؤهلين لدخول المجتمع، حيث يقوم الوالدان بتعليم أبناءهم الثقافة عن طريق الكلام (ممارسة اللغة)، وهذه الثقافة التي تُنقل إلى الأطفال«الجزء الأكبر منها يُنقل شفهياً»[2]، وهذا ما يساعد الأبناء على التكيّف مع المحيط الخارجي (المجتمع) الذي يعيشون فيه.

فالأسرة مؤسسة من مؤسسات التنشئة والممارسة اللغوية (للطفل)، وتختلف هذه التنشئة والممارسة باختلاف الظروف (الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية، البيئية) التي تتواجد فيها هذه الأسر، والتي تنعكس على طبيعة اللغة التي يتعلمها أبناءهم.

وبعبارة أخرى فإن أثر الأسرة في اكتساب وممارسة اللغة للطفل يتوقف على أثر نسق من العوامل البنيوية المكوّنة لهذه الأسرة خاصةً في عملية التنشئة الاجتماعية (المستوى الثقافي، المستوى الاجتماعي، الاقتصادي،...).

[1]- هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة/ محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة(مصر)، ط2، 1990، ص304.

[2]- نفس المرجع، ص 157.

وهذا ما يجعل الطفل اجتماعيا ولغوياً في الأسرة متوافقاً مع النظام العام من جهة، ومع النظم الاجتماعية الأخرى من جهة ثانية.

2.2. المدرسة:

تعتبر المدرسة من مؤسسات التنشئة اللغوية، وهي ذات قيمة تربوية وتعليمية مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات، فهي مجتمع صغير يدخل في كيان المجتمع الكبير، فهي «مؤسسة تهدف إلى تكثيف وتطوير عملية التلقين والتثقيف الاجتماعي وإخضاعها لنظم مدروسة ترتقي بها عن العفوية... فالناشئ يكتسب ما يكتسب من مهارات اللغة فيها، على نحو مكثف ومنتظم ومتوازن ومتدرج ومستمر...»[1]، فإذا كان القائمون على وضع البرامج التربوية والتعليمية على أسس متينة وصلدة بما تخدم الوطن، فإن المدرسة تعتبر ركيزة أساسية لتوحيد الأنماط التي يُراد إنتاجها من خلالها، وتصبح بذلك المدرسة مؤسسة لإعادة إنتاج ما سُطّر من قِبل القائمين على وضع برامجها ومحتوى برامجها، كما أنها تزود الناشئة باللغة من خلال المفردات والصيغ والأساليب التي يُقبل عليها الأطفال، وقد يفتقده المجتمع في إطاره العام، وتعتبر المكان الأنسب لإدماج الفرد في محيطها لتهيئته للعضوية في المجتمع الأكبر، والذي عبّر عنه «جون ديوي»[2]: بأن تكون هذه المدرسة هي مدرسة لحياة اجتماعية مصغرة، بحيث تكون ذات فعالية في مهنها التي تعكس بدورها حياة المجتمع الأكبر، وتجعل الأطفال يتشربون بروح العمل والخدمة وذلك من خلال تسليحه وتجهيزه بالأدوات اللازمة لذلك.

فالمدرسة تعدّ من العوامل القوية والمؤثرة والتي تعمل على ربط الفرد ببيئته ومجتمعه، وهذا من خلال تبليغها للغة المجتمع الذي نشأ فيه الفرد وثقافته، وهي قادرة

[1]- المعتوق (أحمد محمد): الحصيلة اللغوية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996، ص.23

1- ديوي (جون) :المدرسة و المجتمع ، ترجمة / احمد حسين الريحم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (لبنان) ، بدون سنة ص50

على إعداد الفرد ذي الشخصية المتميّزة المرتبطة ببيئته ومجتمعه، كما أنه بإمكانها أن تعمل عكس ذلك، ويكون هذا خاصة من خلال ما تلقته للأطفال والأبناء من قِيم ومعايير وسلوكات والتي عادةً لا تخرج عن الإطار العام للمجتمع الكبير المتمثل في الدولة خاصةً.

وعادةً ما تكون «المادة المقروءة في المدرسة تُعبر عن حياة الأمة في مختلف عصورها وبمختلف مستوياتها، وتجسد كل ما إرتبط بحضارتها من معارف وخبرات وتجارب وأحاسيس، وكل ما يحمله الفكر...»[1]، ويقصد تلك اللغة المكتوبة والتي ستكون اللغة التي يستعملها الأبناء في المدرسة، حيث تنقل إليهم الألفاظ والمفردات والصّيغ والتراكيب والدلالات وغيرها، لتصبح تلك المادة المقروءة مصدراً رئيسياً ومهماً لمفردات اللغة.

وبالتالي فهي تقوم بتعليم اللغة الرسمية لأفراد المجتمع، وذلك من خلال تلقينهم المهارات اللغوية وثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، وبما أن اللغة الرسمية المتعلّمة في مدارسنا وخاصة المدارس الابتدائية تكون باللغة العربية، والثقافة التي تنتمي إليها هي الثقافة العربية الإسلامية، فإن الثقافة العربية لا يعني أن اللغة التي تقوم عليها هي اللغة العربية، بل أيضاً لأن الفكر الذي يحتوي هذه الثقافة هو الفكر العربي«والفكر هو مجموعة المبادئ والنوازع والانتماءات التي تتكون مع تطور تاريخ وحضارة أمّة من الأمم، هو تلك الإيديولوجية الغير مقننة التي تشكل الجنسية الحقيقية لثقافة من الثقافات».[2]

ولذلك فإن مؤسسة المدرسة تعتبر من أقوى العوامل التي تربط الفرد ببيئته ومجتمعه، وذلك عن طريق نشرها للغة القومية وللثقافة الوطنية، وهذا ما يجعل

[1]- المعتوق (أحمد محمد): مرجع سبق ذكره، ص24.

[2]- البهسني (عفيف): الثورة الثقافية العربية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس(ليبيا)، ط1، 1985، ص118.

العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تتسم بالأُلفة والمحبة في المجتمع الذي يعيشون فيه ويتفاعلون فيه.

وقد ركّزت المدرسة الجزائرية منذ عهد الاستقلال على محاولة إحلال اللغة العربية في المدارس محل اللغة الفرنسية التي تركت بصماتها على المدرسة الجزائرية، وهذا من خلال مشروع التعريب الذي سعت إليه، وهذا تماشياً مع الاختيار الوطني للدولة الجزائرية ، في اعتبار اللغة العربية اللغة الوطنية والرسمية، وهذا لتوحيد لغة المجتمع، خاصة وأن هذه المدارس «...قد أوجدتها المجتمعات حين تعقدت ثقافتها وكثرت عناصر هذه الثقافة واتسعت دائرة المعارف الإنسانية...»[1]. وخاصة أن التربية تكون أكثر توجيهاً من خلال المدرسة التي تعمل على ترسيخ الهوية الثقافية للمجتمع والقيم والمبادئ التي تراها مناسبة للمجتمع.

وقد كان التعليم اللغوي في المدرسة هدفاً لوزارة التربية في السنوات السابقة«توفر المدرسة الأساسية للتلاميذ دراسة اللغة العربية بحيث يتقنون بها التعبير مشافهةً وتحريراً، وتهدف هذه الدراسة التي تعتبر عاملاً من عوامل شخصيتهم القومية التي تزودهم بأداة العمل والتبادل وتمكنهم من تلقي المعارف... كما تنتج لهم التجارب مع محيطهم».[2]

وهنا لابد من الإشارة إلى شيء جدير بالذكر وهو أن الطفل في الأسرة يتعلم لغة ما (العربية أو الشاوية)، وعندما يذهب إلى المدرسة فإنه حتماً سيصادف لغة قد تختلف عن لغة الأسرة والتي كان يتعامل بها ويمارسها، مما يجعله في حيرة«وهو ما قد يفقده الإتصال تلقائياً، وتظهر له المدرسة بمظهر غريب وشاذ».[3]

1- تركي (رابح): أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص186.

2- الأمر رقم 76-35 المؤرخ في 16 أفريل 1976، الباب الثالث، الفصل الأول، المادة125.

3- ميجل سجوان ووليم ف.مكاي: التعليم وثنائية اللغة، ترجمة: إبراهيم بن حمد القعيد ومحمد عاطف مجاهد، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، السعودية، ص90.

وحسب بعض العلماء، «بياجيه» و«كالبريد» فإن المدرسة يجب أن تعمل وفق الواقع الذي ترعرع فيه الأطفال حيث أن «المدرسة ينبغي أن تكون فعالة ملتحمة بالحياة الواقعية، أي أن المدرسة ينبغي لها أن تُعين التلميذ على سبر غور خبراته الشخصية ليبني المفاهيم التي سوف تمكنه من استيعاب الواقع وبناءه، ومن ثمّ تعديل سلوكه»[1]، فالطفل في بداية مراحل نموّه، فإنه قد يتلقى تكويناً ونمواً اجتماعيا وثقافيا ولغوياً مختلفاً عن اللغة الموجودة ، والتي يتم التعلم بها في المدرسة، وهو ما يجعلانه بعيداً عن الخبرة التي اكتسبها قبل دخوله المدرسة والتي كان للأسرة الدور الأكبر في ذلك.

فاللغة التي يكتسبها الطفل في الأسرة الناطقة بالشاوية، سيجد صعوبة ومفارقة أثناء دخوله المدرسة، وهو ما يجعله يشعر بالغربة داخلها–وأشير في هذا المقام أنني أتذكر بعض الحالات والتي يأتي فيها الأطفال الناطقين بالشاوية إلى المدرسة، وأثناء دخولهم القسم إلا ويبدأ صياحهم وبكاءهم ونداءاتهم للاستغاثة وهذا للخروج من القسم، وهو ما جعل بعض حالات التهرب من المدرسة كثيرة خاصة إذا لم يلقى الطفل الدعم والمساعدة من قِبل الآباء ومن قِبل المعلمين، وإلا فإن مصيره هو الشارع. وهذه الحالة لا تُعبر بالضرورة عن أن سبب هروب الأبناء من المدرسة هو اللغة فقط– فقد تكون أسباب أخرى (كعدم تشجيع الآباء لأبنائهم على الدراسة، تخويفهم بالمدرسة وهذا ما يجعل الأبناء يهابون الذهاب إلى المدرسة...).

وحسب «برنشتاين» «فإن طفل الطبقة المتوسطة، يدخل المدرسة وهو يتكلم لغتها، بينما طفل الطبقات الدنيا بطريقته المختلفة في الكلام سيكون في موقف مختلف من البداية، وسوف يؤثر ذلك في سلوكه في المدرسة وقد يكون سبباً في كثير من فشله»[2]، أي أن الطفل المنتمي للطبقات التي تكون فيها الحوافز والتشجيعات واستعمال اللغة يكون كلغة المدرسة أو قريباً إليها، فإن ذلك يساعد الطفل على تعلّم

[1]– نفس المرجع، ص91.

[2]– نفس المرجع، ص ص92-93.

لغة المدرّسة بسهولة ، عكس الطفل الذي ينتمي للطبقات المحرومة (الدنيا) والتي قليلاً ما تقدم مساعدات وحوافز لأبنائها لتعلّم اللغة، وهو ما يجعل الهوّة كبيرة وواسعة بين لغة الممارسة خارج المدرسة واللغة الموجودة في المدرسة.

وهو ما أشار إليه «برنشتاين» في اكتساب اللغة الثانية في البيئة المدرسية يكون حسب اللغة الموجودة فيها، فإذا كانت المدرسة أحادية اللغة(تُدرِّس) بلغة واحدة، فإن لغتها أقرب أن تكون هي نفسها لغة المحيط الأسري، وإذا كانت نفسها لغة الأسرة، فإن الفرد يجد فيها صعوبة في اكتساب اللغة الثانية، أما إذا كانت لغة المدرسة مخالفة للغة الأسرة، فإن للفرد حظوظ أكثر لتعلّم اللغة الثانية.[1]

ولذلك فإننا نجد الكير من العلماء من يفضل ويستحسن أن تكون اللغة المستخدمة في الأسرة هي اللغة المستخدمة في المدرسة، حتى تسهل العملية التواصلية للطفل بين محيط الأسرة ومحيط المدرسة ، وهذا ما يساعده على التواصل وفهمه وإدراكه للواقع.

تعتبر المدرسة مؤسسة اجتماعية، تعمل على نقل اللغة والثقافة للأفراد، وهي التي تقوم بالدور الهام في عملية التربية والتعليم ، من خلال تربية وتعليم الأجيال المستقبلية القيم والمعايير واللغة والثقافة الوطنية، خاصةً من خلال البرامج والأهداف المسطرة لهم، فهي تلعب دوراً أساسياً وبارزاً في اللغة التي يتلقاها الأبناء، والتي قد تكون في معظمها متماشية مع إستراتيجية المجتمع الكبير بهدف الحفاظ على الثقافة والحضارة واللغة الوطنية*، والمدرسة هي مؤسسة مؤهلة لتوحيد ذلك من خلال النظام التربوي المرسوم وأهداف الدولة.

---

[1]- Berstein(Basil) : Op.cit.,p.381.

* – وذلك لأن للغة الوطنية دور في الوحدة الوطنية من جهة وفي وحدة التواصل والتفكير والعمل الوحدوي والسياسي والاقتصادي بين أبناء الشعب الواحد، حتى لا تتمكن اللغات الأجنبية من تمزيق النسيج اللغوي في الأمة الواحدة(عن عبد الكريم غلاّب، من اللغة إلى الفكر).

3.2 وسائل الإعلام والاتصال:

لقد أصبحت وسائل الإعلام والاتصال في الوقت الحاضر –بفضل التطور السريع فيها– أداة فعالة ورئيسية في تربية وتوجيه وتكوين الاتجاهات للأفراد والجماعات، وهذا لقدراتها للاتصال بجميع الأفراد بمستوياتهم المختلفة، فلهذه الوسائل دور كبير في مجال «التربية والتعليم والإصلاح الاجتماعي (محو الأمية، تعليم اللغة، التعليم،...)»[1]،والذي يرتبط بطبيعة الأنظمة الاجتماعية لكل حضارة، وتعرّف وسائل الإعلام بأنها «جميع المؤسسات الحكومية والأهلية التي تنشر الثقافة للجماهير، وتهتم هذه المؤسسات بالنواحي التربوية كهدف لتحقيق تكيّف الفرد مع الجماعة».[2]

فلهذه الوسائل الإعلامية القدرة على التأثير في سلوك الأشخاص وفي شخصيتهم من خلال ما تبثه من حصص وأفلام ومسلسلات، وكذا لنوع الثقافة باختلافها وتنوعها، وبما أن اللغة جزء من تلك الثقافة، فهي بذلك تؤثر تأثيراً كبيراً ومباشراً على اللغة التي يختارها الآباء لأبنائهم من خلال القنوات المتبعة والبرامج المختلفة، سواء كانت إعلامية أو ترفيهية أو تثقيفية ، فكلها تساهم في تأثيرات معينة على الأفراد، خاصةً من خلال الوسائل المختلفة(التلفزيون، الراديو، السينما،...) والتي تزدحم بالمعلومات وبالتالي في تكوينهم وبالتالي فمن خلال هذه «الوسائط يتعرضون للتنشئة الاجتماعية».[3]

[1]– دليو(فضيل)، مقدمة في وسائل الإتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص70.

[2]– عبد الحميد العناني(حنان)، الطفل والأسرة والمجتمع، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص177.

[3] - Piaton (G) : Education et socialisation, éléments de la psycho-sociologie de l'éducation, Toulouse, éd.Edouard Privat, 1997,p.148.

وإن تأثير وسائل الإعلام عموماً على تنشئة الأطفال يتأثر بعدد من العوامل، والتي غالباً ما تكون نطاق الأسرة(المستوى الثقافي والاقتصادي والاجتماعي لها)، وكذا إلى مدى رغبة وإرادة الآباء في ذلك.

ومهما كانت طبيعة هذه الوسائل في برامجها والثقافة التي تحملها والأفكار التي تبثها، وكل ما يتعلّق بها لا يكون إلا من خلال اللغة التي بواسطتها يتم فهم محتوى ما نشاهده ونسمعه، خاصةً وأن اللغة تعتبر أحسن وسيلة لتبليغ وتوصيل المعلومات للجماهير والتي تكون «لصيقة بأدائها لوظيفتها، التي هي تحقيق التواصل بين الأفراد الناطقين بها والمتداولين لمقاصدهم بألفاظها».[1]

وهذه اللغة تحتوي في داخلها أفكار ومعلومات ومفاهيم وألفاظ تظهر من خلال الكلام المنطوق، وهذه اللغة المنطوقة خاصةً، والتي تندرج في إطار نظام اتصالي أوسع فهي «تفترض من جهة نظام قواعد، إذ اللغة هي التي تحدد طريقة استعمال الأداة اللفظية للتعبير عن (الترميز) الحقيقة الخارجية أو المصوّرة، ومن جهة أخرى تجسيد هذا النظام على شكل سلوك ملموس...»[2]

ونجد خاصةً في جهاز التلفزيون والراديو اللغة المنطوقة أكثر حيث تُسمع وتُفهم مباشرة.

وعلى أية حال فإن اوسائل الإعلام والتي تؤثر على الطفل وعلى لغته، تتمثل خاصةً في:

[1]– السدي (عبد السلام): ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسة بن عبد الكريم للنشر والتوزيع، تونس، 1994، ص128.

[2] - Rondji (A) : Trouble du langage, Diagnostic et rééducation, Pierre Mardaga, Paris, 1982 p.37

2. 3. 1- **التلفزيون:** إن معظم المدمنين على التلفزيون هم من الأطفال الذين لم يدخلوا المدرسة بعد، وهو ما يجعلهم يتابعون ويشاهدون برامج مختلفة وخاصة برامج الأطفال، حيث يقومون بتقليد ما يسمعونه من كلمات وألفاظ، وبتكرارها، وهو ما يترك انطباعا لبعض المفاهيم والمصطلحات في أذهانهم، خاصةً إذا وجدت المتابعة والمساعدة من قبل الأسرة، ويكون بذلك قد جعل الأطفال المشاهدون له «أكثر في عدد المفردات وأكثر معلومات عن البيئة من الأطفال الذين لا يشاهدون التلفزيون»[1]، وما يزيده تأثيراً وتعلّقاً أكبر من المشاهدين هو جمعه بين الصورة والكلمة المنطوقة، والأطفال في بدايتهم يستخدمون الكلمات المنطوقة وعلى نطاق واسع، ويكون بذلك يستعمل في حديثه اليومي «كلمات من محصول لغوي، ويحقق قدراً كبيراً من كفايته اللغوية دون أن يعرف شيئاً عن قواعد اللغة... »[2]، وهذا ما يجعل محصول الطفل اللغوي أثناء سماعه للكلمات والألفاظ يزداد ليشكل حصيلة لغوية مقبولة.

كما أنه عن طريق التلفزيون يتم تخاطب الأفراد والجماعات، ويتبادلون الآراء والأفكار والخبرات، مما يجعلهم ينقلون إلى بعضهم البعض المعارف والأفكار، وتلتقي بذلك ألسنتهم وعقولهم وثقافتهم وحضارتهم على اختلافها وتباعد أمكنتها، حيث يسمح بعضهم البعض ويتفاعل معهم ويتجاذب ويتأثر بما يقولون[3]، ومنها يكتسب الكلمات والألفاظ والعبارات مما يجعل مهاراته اللغوية تتطور بمرور الوقت.

فالتلفزيون في الوقت الحالي أصبح من الوسائل الأكثر تأثيراً على الأفراد وعلى ثقافتهم وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، خاصةً في ظل الهوائيات المقعرة التي أصبحت فيها نماذج متعددة ومتشبعة وستسافر إلى حيث تشاء وللغة التي تبحث عنها، وأصبح بذلك التلفزيون وكأنه جزء من أفراد الأسرة في التأثير على الأفراد وتوجيههم.

[1]- عبد الحميد العناني(حنان): مرجع سبق ذكره، ص125.

[2]- دياب(فوزية): مرجع سبق ذكره، ص57.

[3]- المعتوق(أحمد محمد)، مرجع سبق ذكره، ص 87.

2.3.3 –الراديو: يقوم هو الآخر بدور في نشر الثقافة واللغة، حيث يقوم بضخ الألفاظ اللغوية لدى الجماهير المختلفة، إلى درجة أنه أصبح «أعظم الوسائل في نشر اللغة... »[1]. خاصةً يَمد الناس خاصيتهم وعاميتهم بما يزيد من حصائلهم من ألفاظ اللغة، قديمها ، حديثها، فصيحها وعاميتها.

ويمكننا القول عن جهازي التلفزيون والراديو بأنهم من الوسائل المهمة والفاعلة في نقل اللغة والثقافة إلى الأفراد، وذلك بإمدادهم بالألفاظ والكلمات والجمل، والتي لا شك أن لها الأثر البالغ في نفوسهم وهما بذلك يساعدان ويساهمان في «توحيد وتجميع اللغة خارج المستوى المحلي أو الطبقي»[2]، ويكون هذا من خلال ما يقدمانه من برامج ناطقة بلغة ما والتي تنال إعجاباً وقبولاً لدى الناشئة خاصةً، كما أن كلاهما يعتمد على توظيف الكلمة المنطوقة والتي ما تزال تحظى بخواص صوتية تمنحها وتعطيها قوّة التأثير والتفاعل خاصة بين طرفي الرسالة–المرسل والمستقبل، ويكون بذلك أكثر تأثيراً وتغلغلاً في ذهن المستمع.[3]

إذاً فكل من التلفزيون والإذاعة مؤسستين اجتماعيتين من مؤسسات التنشئة تساهمان في التأثير على الأفراد من خلال ما تلقيهما، وخاصة اللغة التي تبث وتنقل بها البرامج، والتي يكون فيها الألفاظ والكلمات التي تُتداول وتستعمل من قِبل متتبعة البرامج والحصص.

هما أدوات التواصل الحيّ والفاعل المؤثر في وجدانهم وعقولهم والموجّه لأفكارهم واتجاهاتهم وتصوّراتهم. وهناك وسائل أخر والتي لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي السينما والإعلام الآلي، والمسرح والتي لها القسط كذلك في التثقيف وفي اللغة التي تُلقى بها.

[1]– نفس المرجع، ص90.

[2]– ياي(ماريو): مرجع سبق ذكره، ص213.

[3]– بشير(كمال محمد): مرجع سبق ذكره، ص197.

4- جماعة الرفاق :

إن الطفل لا يمكن أن يبقى قابعا في بيته طوال الوقت ، بل وببداية تقدمه في السن يبدأ في الخروج ، إلى خارج المنزل ، وفيه يبدأ بالالتقاء بأفراد آخرين ، وغالبا ما يكونون من أمثال سنه أو متقاربين معه ،ومن ثم فانه يبدأ يتعلم من اقرأنه بعض الأشياء والأمور التي لم يجدها في الأسرة ، ويكون اللعب مع الأطفال من أمثاله من السمات الغالبة على ذلك، وبما أن الجماعة في مفهومها هي " جملة أفراد أو أشخاص تربط بينهم علاقات متبادلة ومتداخلة ، ويضمهم وعي ، ولا يمثل دخول فرد فيها زيادة عددية فحسب ، بل تغيرا كيفيا فيما يخص تأثيراتها الوظيفية السلوكية فيه "[1].

وإذا قلنا هذا فلا يعني أن جماعة الرفاق متمركزة أو موجودة عند الأطفال فقط ، فهي تكبر كلما كبر الفرد واتسعت مجالات احتكاكه وتفاعله ، ومما يجعل اكتسابه لبعض السلوكات أو تعديلها أمر وارد ، وبالتالي فان هذه الجماعة سيكون لها تأثير على لغة الطفل أو الفرد ، فهي بذلك تقوم بدور تربوي ، واثر هذه الجماعة يكون أكثر بروزا من خلال ما توفره من فرص وظروف لا تتوفر في جماعات أخرى كالأسرة والمدرسة ....الخ ، ومنه تقوم جماعة الرفاق " بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية ، فهي تؤثر في قيم وعادات واتجاهات الأطفال وحتى الكبار ..."[2].

ويتضح من خلال هذا التعريف أن لجماعة الرفاق دور وتأثير في ما يكتسبه الأطفال، خاصة في مجال اللغة ، حيث تدور جميع مراحل الحديث ، ووسيلة للتواصل فيما بينهم ، مما يجعل تأثيرهم على الجانب اللغوي كبير ، خاصة إذا كان من يريد الاحتكاك بهم أو التواصل بهم لا يتقن اللغة التي يتحدثون بها ، وهذا ما يضطره ربما لاكتساب لغتهم ، حتى تسهل له عملية الاتصال والحديث معهم دون عقدة .

1- الشربيني (زكريا) ويسرية صادق : مرجع سبق ذكره ، ص 128.
2-المرجع نفسه ، ص 129.

وهو ما يعني ويدل أنهم يلعبون دورا مكملا لدور الأسرة ، وقد يكون في بعض الحالات أكثر ، وهذا يتوقف على الخلفية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تتكون منها تلك الجماعة من الرفاق (الأصدقاء أو الزملاء) ، وتتعدد هذه الجماعات ، فقد تكون جماعة رفاق الشارع ، أو جماعة رفاق المدرسة ، أو جماعة رفاق اللعب ، أو جماعة العمل،أو جماعة الدين ....الخ.

وقد قام " برنشتاين "[1] بتقسيم جماعة الرفاق إلى الحالات السابقة ، حيث يرى أن لكل جماعة من هذه الجماعات لغتها الخاصة ، وذلك حسب الجماعة المتواجد فيها ، فاللغة المتداولة والممارسة عند أي جماعة من تلك الجماعات تضطر بان تكون لغة الحديث هي لغة تلك الجماعة ، وهو ما يجعل اللغة التي اكتسبها في الأسرة قد تكون كاللغة التي يجدها عند جماعة الرفاق ، أي أنها لغة مشتركة ، وقد تكون اللغة التي اكتسبها في الأسرة تختلف عن تلك الموجودة في جماعة ما ، وهنا يضطر لان يستعمل لغة الجماعة المتحدثة بها ، أي أن الموقف الجماعي إن صح القول عليه والمتواجد فيه، يفرض عليه طبيعة اللغة الممارسة ، والتي ستكون لغة الحديث فيما بينهم .

ومنه نستخلص أن لجماعة الرفاق ، دور بارز في التأثير على اللغة الممارسة من قبل الأفراد داخل هذه الجماعات ، وهو ما قد يفرض اكتساب لغة ثانية للبعض ، وقد تتعدد عند البعض الآخر ، وهنا تتجلى وتتضح رغبة الجماعة في تحديد اللغة الممارسة من قبل المنتمين إليهم .

خاتمة :

نستخلص مما سبق ، أن لمؤسسات التنشئة الاجتماعية ، دور فعال وتأثير كبير على اللغة التي سوف يتحدثها ويمارسها الأطفال والأفراد ، وذلك من خلال التأثيرات الممارسة في فترات ومراحل التنشئة الاجتماعية المختلفة ، من احتضان الطفل في الأسرة إلى المجتمع الكبير ، والشئ الملاحظ أن التأثيرات على الأفراد يتوقف على

[1] -Berstein (basil) : Op.cit ; p 381 .

طبيعة العلاقات والنظم والتفاعلات الموجودة في هذه المؤسسات ، فهي تختلف نسبيا عن بعضها ، مما يجعل درجات التأثير أيضا مختلفة ، وهذا حسب الظروف المختلفة للأفراد أنفسهم – الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ...- ، وأحيانا الى طبيعة ونوعية اللغة الممارسة في تلك المؤسسات (هل هي ذات قيمة ؟ هل تحقق وظائف معينة ؟ هل تساهم في الارتقاء والتمايز الاجتماعي ؟.....)، حيث هذه العوامل تجعل اللغة الممارسة والمتعلمة داخل تلك المؤسسة من المؤسسات الاجتماعية السابقة ، هي لغة التواصل والحديث ، ولغة الوجدان .

كما أن التباينات في عملية التنشئة الاجتماعية من مجتمع لآخر يتجلى ويكون أكثر وضوحا خاصة من خلال التغيرات التي تحدث في القيم الاجتماعية ، أو قيم المنهج الدراسي ، أو القيم التربوية ، أو القيم الاقتصادية ، وكذا إلى القيم التي تبث من خلال وسائل الإعلام والاتصال المختلفة، حتى أن هذه التباينات في عملية التنشئة الاجتماعية تختلف من مكان لأخر ، ومن جيل إلى آخر ، وهذا يعود إلى الاختلافات والتنوعات في الأنظمة المختلفة (الاقتصادية ،التفاوت في المستوى الحضري والاجتماعي...) ،ويتجلى هذا من المكانة التي يحتلها كل فرد من مجتمع لآخر .

والتنشئة الاجتماعية بصفة عامة ، لا يمكن أن تخرج عن الإطار العام للمجتمع الكبير، وتعمل الأنساق المختلفة لهذا المجتمع (ايكولوجية ، اقتصادية ، سياسية ، دينية) على التأثير في عملية التنشئة ، كما أن هذه المؤسسات التنشئوية المختلفة لا تعمل كل واحدة على حدى ، بل هي عبرة عن سلسلة يكمل كل واحد منها الآخر، وهي متداخلة فيما بينها، بما في ذلك مؤسسات أخرى كالمدارس القرآنية والمساجد ، والتي لها دور مهم في تعلم اللغة وممارستها.

فلهذه المؤسسات (التنشئة الاجتماعية) دور وتأثير قوي ، في ممارسة اللغة ، وفي تحديد نوعية وطبيعة هذه اللغة الممارسة من قبل الأفراد.

قائمة المراجع :

أ– باللغة العربية:

1- هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة/ محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة(مصر)، ط2، 1990.

2- المعتوق (أحمد محمد): الحصيلة اللغوية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996.

3- عبد الفتاح(كاميليا): التربية اللغوية للطفل، دار الفكر العربي، مصر، 1991.

4- عبد الحميد العناني(حنان)، الطفل والأسرة والمجتمع، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1997.

5- الشربيني (زكرياء)، يُسرية(صادق): تنشئة الطفل وسبُل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دار الفكر العربي، القاهرة(مصر)، 1996.

6- السدي (عبد السلام): ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسة بن عبد الكريم للنشر والتوزيع، تونس، 1994.

7- دياب(فوزية): نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط3، السنة غير مذكورة

8- دليو(فضيل)، مقدمة في وسائل الإتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998،

9- دسوقي (كمال): النمو التربوي للطفل والمراهق، دروس في علم النفس الارتقائي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

10- خشى(عبد الباري عصر): تشويه العقل العربي وهموم التربية اللغوية، الإسكندرية، مصر، 1999.

11- تركي (رابح): أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

12- البهسني (عفيف): الثورة الثقافية العربية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس(ليبيا)، ط1، 1985.

13- ميجل سجوان ووليم ف.مكاي: التعليم وثنائية اللغة، ترجمة: إبراهيم بن حمد القعيد ومحمد عاطف مجاهد، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، السعودية.

14- ديوي (جون) :المدرسة و المجتمع ، ترجمة / احمد حسين الريحم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (لبنان) ، بدون سنة.

ب-باللغة الاجنبية :

15- Basil Berstein : Langage et classes social, codes sociolinguistiques et contrôle sociel, éd.Minuit, Paris 1980

16- Piaton (G) : Education et socialisation, éléments de la psycho-sociologie de l'éducation; Toulouse, éd.Edouard Privat, 1997.

17- Rondji (A) : Trouble du langage, Diagnostic et rééducation, Pierre Mardaga, Paris, 1982.